

الانقلاب الجمهورى فى اسبانيا

١ - اسبانيا ما قبل الحرب

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عثمان

تعانى اسبانيا الجمهورية منذ قيامها أزمات ومتاعب متوالية ، وتتعاقب فيها القلاقل والاضطرابات المختلفة . وقد استطاعت حكومة السينور ليرو الأخيرة التى قامت بعد أزمة وزارية طويلة أن تسيطر على الموقف نوعا . ولكن استنادها إلى العناصر الفاشستية والحفاظة يبرر سخط الأحزاب الاشتراكية والخطرة ، ويذكر أن النضال الحاد بين الجبهة الرجعية والجبهة الثورية . وتتنازع اسبانيا فوق ذلك قوتان أخريان : هما قوة الملوكة ، وقوة الكتلكة . وقد قامت الجمهورية الاسبانية الفتية على اتقاض الملوكة والقوى الدينية التى تحركها . ولكن قول الملوكة ما زالت تثبت فى اسبانيا وتعمل فى الداخل والخارج لاثارة الصعاب فى وجه الجمهورية ، وما زالت قوى الكتلكة رغم انهيارها تحاول النهوض والعمل لاسترداد نفوذها وسلطانها . وما زالت الجمهورية قوية تقبض على ناصية الحوادث ، ولكن الخلاف الذى يضطرم دائما بين العناصر الجمهورية والحررة من جهة ، وبينها وبين العناصر الخطرة والثورية من جهة أخرى ، يزيد فى متاعبها ويعرضها لخطر شتى .

قامت الجمهورية الاسبانية منذ ثلاثة أعوام فقط ، فى إبريل سنة ١٩٣١ نتيجة لنضال ديمقراطية نائرة تضطرم منذ أعوام طويلة . ولكن الديمقراطية الاسبانية قديمة ترجع إلى أكثر من قرن . وقد ظفرت اسبانيا بدستورها الحديث سنة ١٨١٢ ، أثناء الحروب البونابارتية ، وهو الدستور الذى وضعته جمعية وطنية فى قادس ، ووعد فرديناند ملكها المنى يومئذ باحترامه ، ولكنه لما عاد إلى اسبانيا بعد ذلك بعامين على انتهاء الحروب البونابارتية ، عمل على توطيد الملوكة المطلقة وانتقاص الحريات والحقوق الدستورية ، فعاد الشعب الاسباني إلى الثورة فى سنة ١٨٢٠ ، واضطر فرديناند إلى اللجوء إلى فرنسا ، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى انتهاكه ، وعارته الجنود الفرنسية التى أمده بها لويس الثامن

عشر على تنفيذ سياسة الحكم المطلق . وكانت معظم الشعوب الاوربية تنزع يومئذ إلى الحركات التحررية ، ولكن الملوكة القديمة لم تقف جامدة أمام هذه النزعة ، ومنذ سنة ١٨١٥ عقدت المعاهدة المقدسة بين العروش الاوربية القديمة فى روسيا ، والنمسا ، والمجر ، وألمانيا ، للتعاون على اتحاد النزعات والحركات الشعبية الحرة التى يبتها مبادئ الثورة الفرنسية ، وأذكاها بالغة الملوكة القديمة فى الاستئثار بالسلطان والحكم المطلق ، وفى تجاهل الرغبات والامانى الشعبية . وفى أواخر عهد فرديناند (نحو سنة ١٨٣٠) اضطرم النضال بين فريناند وأخيه الدون كارلوس على مسألة وراثته العرش . وكان فرديناند حتى سنة ١٨٢٩ عقيما لاولد له ، ثم ولدت له بعد ذلك ابنة ، فعمد فى الحال إلى تغيير قانون الوراثة ليحرم أخاه كارلوس من ارتقاء العرش وليبقى العرش لابنته . ولما توفى سنة ١٨٣٣ ، اعترف الكورتيز (البرلمان) بابنته ايزابيلا ملكة لاسبانيا وبوالدها وصية على العرش ، واعترفت ايزابيلا بعد ذلك بالدستور الاسباني الجديد الذى وضع سنة ١٨٣٦ ، على مثل دستور قادس . ولكن عهدا كان فياضا بالاضطراب والقلاقل ، وتوالى فيه الحكومات الضعيفة العاجزة وفقدت النظم والادارة ؛ وفيه فقدت اسبانيا معظم أملاكها الامريكية على أثر الحركات التحررية التى قامت فى امريكا الجنوبية وانهت بتحرر شعوبها من التيرالاسباني ، وقيام الجمهوريات الامريكية الجديدة ، واستمرت اسبانيا عصرا تعاني غمرا واضطرابا وفوضى ؛ ولكن الديمقراطية استطاعت خلال ذلك أن تنمو وأن تقوى ؛ وبذلك يومئذ لتحطم الملوكة عدة محاولات عنيفة ، ووقعت من جراء ذلك حوادث دموية كثيرة . واشتد ساعد الحركة الجمهورية إلى حد روعت معه الملوكة ؛ واستمرت اداة الحكم على ضعفها وانحلالها ، والعرش فيما بين ذلك يهتز نوحا وسافرا ، حتى غدا الموقف مما يستحيل استمراره . ولم تقو الملكة ايزابيلا على مواجهة هذه الصعاب والخطوب كلها ، ففرت إلى فرنسا ، ثم تنازلت بعد ذلك عن العرش لولدها الفونسو الثانى عشر . وكان الفونسو وقتئذ طفلا فى نحو العاشرة ، فلبث العرش الاسباني خاليا مدى حين ، وأقيمت حكومة مؤقتة تحيط بها الصعاب والازمات من كل ناحية ، ثم كان عرض العرش الاسباني على ليوبولد الالماني من أمراء آل هوهنزلرن ، ومعارضة نابوليون الثالث فى ذلك ، وقيام تلك الازمة

الواقع تطوى مرحلتها الأخيرة في بطنه ، وشاء القدر أن يكون مصرعها على يد الفونسو الثالث عشر آخر ملوك قشتالة .

تولت الملكة ماريا كريستينا زمام الأمور حتى يبلغ ولدها أشده . وكانت مهمة شاقة ، لأن الأمور لم تكن قد استقرت بعد ، ولكن الملكة الارمل استطاعت ان تعمل في جو من العطف سواء في الداخل ، أو في الخارج ، فبدأت الخواطر وتحسنت الاحوال نوعا . وكان أعظم الحوادث في هذا العهد نشوب الحرب الاسبانية الأمريكية ، وقدد اسبانيا لباقي مستعمراتها ، وكان سبب نشوبها الخلاف بين اسبانيا وأمريكا على جزيرة كوبا ، وتطلع امريكا الى انتراعها من اسبانيا . ونشبت الحرب بين الدولتين سنة ١٨٩٨ ، وهزمت اسبانيا وحطمت قواها البحرية ، وقددت كوبا وباقي مستعمراتها في الهند الغربية ، وقددت أيضا جزائر الفلبين الغنية في الهند الشرقية ، ولم يبق لها شيء من تراتها العريض فيما وراء البحار وكبدتها الحرب نفقات باهظة أنضبت مواردها وأثقلت كاهلها مدى حين .

وفي مايو سنة ١٩٠٢ توج الملك الفونسو الثالث عشر ، وهو في السادسة عشرة من عمره ، وتولى زمام الحكم ، وبدأ بذلك عهد جديد في الملوكة الاسبانية استطال مدى ثلاثين عاما ، وكان عهد الفصل في تاريخها . وأبدى الفونسو منذ ولايته مهمة ونشاطا ، يد أنه لم يمض نحو عام حتى توفي السينور ساجسترا رئيس الوزارة وزعيم الاحرار ، وكان سياسيا بارعا يتمتع بكفايات جمّة ، فاضطربت شؤون الحكم ، وانتقلت السلطة الى المحافظين ، وتعاقبت منهم في الحكم خمس وزارات في نحو ثلاثة اعوام ، وأخذ الملك الجديد يواجه كل الصعاب التي واجهها اسلافه . وكان الفونسو الثالث عشر يبدي منذ البداية ميولا رجعية قوية ويلتمس الوسائل المختلفة لمقاومة النزعات الحرة والحريات الدستورية ، ويعتمد في تنفيذ سياسته على العناصر الرجعية المحافظة ويجمعها حوله ؛ وكان ذلك سببا في بث السخط حول العرش وحول شخصه حتى أنه دبر يوم زواجه من الاميرة فكتوريا اوجيني ابنة اخي الملك ادوارد السابع ، أول محاولة لاغتياله (سنة ١٩٠٦) ، وبدأت من ذلك الحين سلسلة من الاعتداءات على شخصه شاء القدر ان ينجم عنها جميعا . وكانت الحركات والنزعات الديموقراطية والثورية اثنا ذلك تنمو وتشتد وخصوصا في مقاطعة قطلونية . وكانت قطلونية فوق ذلك مسرح

الخطيرة التي التمست سببا لاضطراب الحرب بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ ؛ فعدلت اسبانيا عن ترشيح ليوبولد . وانتهى الامر باختيار أمديس أمير سافوا ملكا لاسبانيا ، جلس على عرشها نحو ثلاثة اعوام يعمل في ظروف صعبة ، ثم استقال وغادر البلاد وخلا العرش كرة أخرى ؛ وهنا اضطربت البلاد بثورة تحريرية قوية ، واستطاع الاحرار أن يعلنوا قيام الجمهورية ، وان يقيموا الحكم الجمهوري مدى عام (سنة ١٨٧٤) ؛ وكان هذا أول طارئ حقيقى للديموقراطية الاسبانية ، ولكنه كان ظمرا خلبا ، لأن العناصر الرجعية لبثت قوية تعمل لاسترداد سلطانها . وكانت اسبانيا تعاني في نفس الوقت مصائب الحرب الاهلية ، لأن الدون كارلوس وأنصاره انتهزوا فرصة الاضطراب العام ليحاولوا انتزاع العرش فوقعت الحرب السكارية الثانية (سنة ١٨٧٢) ، ولبثت نحو أربعة أعوام تمزق أوصال الامة ، ثم انتهت أخيرا بسحق قوى الدون كارلوس وفراره الى فرنسا . وعندئذ أعلن الفونسو الثاني عشر ، وكان عندئذ طالبا يدرس في انكلترا - انه ملك اسبانيا الوحيد ، واستمر انصاره في الداخل يدبرون له سبل العودة ، حتى استطاع ان يعود وأن يجلس على عرش اسبانيا سنة ١٨٧٥ ، وهو قتي لا يجاوز السابعة عشرة ، وكان الفونسو الثاني عشر رغم حداثة يتبع بخلال ومواهب طيبة ، فاستطاع بمعاونة وزيره الشهير شارو فاس دل كاستيلو ان يقمع الفوضى وان يعيد الامن والنظام ، وان يقوم باصلاحات واسعة المدى . وتنفست اسبانيا في عهده الصعداء ، وتمتعت بفترة من السكينة والرخاء . ولكن الموت لم يمهله ، فتوفي شابا في السابعة والعشرين من عمره سنة ١٨٨٥ ، ترك ارملة حاملا ، فوضعت بعد وفاته ولدا سمي بالفونسو الثالث عشر ، واعلن منذ مولده ملكا لاسبانيا وعينت أمه الملكة ماريا كريستينا وصية للعرش

كان الفونسو الثالث عشر عاهة لتلك السلسلة الحافلة من ملوك قشتالة الذين لبثوا قرونا يحاربون العرب والاسلام في اسبانيا والذين قضوا بعد طول الجهاد على الاسلام والحضارة الاسلامية في اسبانيا . وكان وريث ملوكة عريقة كانت مدى حين تفوق جميع الملوكة الاوربية في العظمة والبهاء ، وتبسط سلطانها ما وراء المحيط على قارة بأسرها . ولكنه لم يرث من ذلك التراث العريض الباذخ سوى بقية واهنة مضعفة . كانت الملوكة الاسبانية في

حركة انفصالية قوية ومهد معركة مضطربة بين الوطنيين القطلان والراديكاليين المركزيين بزعامة السينور ليرو . وعاد الاحرار الى منصة الحكم منذ سنة ١٩٠٥ على يد زعيمهم موريه واستمررا بصحة أعوام ؛ ولكن الملك مالت أن عاد الى مخالفة المحافظين ، وكانت المسألة المراكشية تشغل اسبانيا منذ حين ، وكانت قد سويت مع فرنسا في سنة ١٩٠٤ بمعاهدة فرنسية اسبانية ، اعترف فيها بحقوق اسبانيا ، وحددت المنطقة الاسبانية تحديدا يرضى امانها . ولكن المسألة المراكشية استمرت شغلا شاغلا للسياسة الاسبانية ، بل غدت كما سئرى كابوس السياسة الاسبانية مدى اعوام طويلة ، وكانت عاملا جوهريا في تطور الحوادث في اسبانيا ، وفي تدرج العناصر الرجعية باقامة حكم الطغيان الشامل الذى لبث عدة أعوام يتحد انفس الشعب الاسبانى ، ثم انتهى بذلك الانفجار الحاسم الذى حطم صرح الملكية القديمة ، وحقق في اسبانيا آمال الديمقراطية كاملة شاملة .

وخلف المحافظون الاحرار في منصة الحكم على يد زعيمهم السينور مورا ، وفي ذلك الحين اشتدت الحركة الثورية في قطلونية ، واضطربت الحرب في مراكش في نفس الوقت لأن بعض قبائل الريف هاجمت الخط الحديدى الذى يربط المتاجم الاسبانية ؛ وقررت الحكومة أن تسمى الجنود الاحتياطية القطلونية ، فنارت قطلونية احتجاجا على ذلك ، ونظم اعتصاب عام في برشلونة امتد الى باقى أنحاء الولاية (يولييه سنة ١٩٠٩) ، وانفجر بركان الثورة فقبضت العسكرية على زمام السلطة ، وقمعت الثورة بمنتهى القسوة ، وأعدم الزعيم الثورى فرانثيسكو فيرر ؛ فازدادت البلاد سخطا ، واضطرت الوزارة المحافظة الى الاستقالة ، وعاد الاحرار الى الحكم أولا على يد السينور موريه ، ثم بعد استقالته على يد السينور كاناليخاس (فبراير سنة ١٩١٠) . واستمرت الوزارة الحرة في الحكم حتى مقتل رئيسها كاناليخاس في نوفمبر سنة ١٩١٢ . وامتاز هذا العهد بمجادنين في منتهى الخطورة ، أولهما : اضطراب المعركة بين الحكومة الحرة والكاثوليك ، بسبب اضطهاد الحكومة للكاثوليك وسخط الفاتيكان من أجل ذلك ؛ والثاني قيام الخلاف بين اسبانيا وفرنسا بسبب المسألة المراكشية . وكانت فرنسا تزداد توسعا في مراكش حتى شعرت اسبانيا أنها تهدد منطقتها ومصالحها ؛ واتهمت ألمانيا هذه الفرصة للتو به بمصالحها في مراكش ، وأرسلت

الطراد « باتير » الى مياه أغادير بحجة حماية مصالحها ، واضطرت فرنسا أن ترضى ألمانيا بتحقيق بعض مطالبها في الكونفغو ، واضطرت من جهة أخرى أن تحترم سيادة اسبانيا على المنطقة الاسبانية . وكان ذلك فوزا للوزارة الحرة ، ولكن اشتدادها في إخماد الحركة الثورية في قطلونية انتهى بمقتل رئيسها (نوفمبر سنة ١٩١٢) ؛ فخلفتها وزارة محافظة برئاسة السينور داتو لبثت في منصة الحكم حتى ديسمبر سنة ١٩١٥ ، وفي عهدها نشبت الحرب الكبرى . وأعقبتا وزارة حرة برئاسة الكونت رومانونيس ، فاستمرت حتى أوائل سنة ١٩١٧ . ولزمت اسبانيا الحياد أثناء الحرب ، واستفادت من حيادها فوائد تجارية واقتصادية جمة وتمتعت بفترة من الرخاء الحسن ؛ وكان الرأى العام الاسبانى خلال الحرب يتراوح بين تأييد الحلفاء وتأييد ألمانيا . فالاحرار وأحزاب اليسار تميل مع الحلفاء ؛ والأحزاب المحافظة ورجال الدين يميلون مع ألمانيا . وكان السلام الذى تمتعت به اسبانيا خلال الحرب نعمة سابقة وعاملا كبيرا في استقرار شئونها وأحوالها .

وفي أواخر سنة ١٩١٧ تحركت احزاب اليسار (الاحزاب الاشتراكية) ككرة أخرى ، ودبرت اعتصابا عاما في جميع اسبانيا . وكانت الديمقراطية ترمى بهذه المحاولة الى تحطيم النظام القائم ، وإقامة جمهورية اسبانية ديمقراطية ، ولكنها اخفقت في تدبيرها واستطاعت العسكرية أن تسحق الثورة في مهدها . وكانت العسكرية تتطلع دائما الى بسط نفوذها وسلطانها على شئون الحكم ، وكانت ترى من حقها بعد أن انقذت الملكية والنظام القائم من ثورات الديمقراطية غير مرة ، أن تستأثر هي بالسلطة ، وأن توجه سياسة البلاد طبقا لرأيها ، وقد استطاعت في الواقع أن تحقق هذه الغاية الى حد كبير على يد الوزارة المحافظة التى قامت يومئذ برئاسة السينور جارسيا بريثو ، وتولى فيها وزارة الحربية رجل من رجال العسكرية هو الجنرال لانثيرفا ، ولكن هذا الطغيان العسكرى لم يطل يومئذ امده لما ابتداء لانثيرفا من عجز وصلف ؛ فسقطت هذه الوزارة المسيرة ؛ وألقت وزارة حرة برئاسة الكونت رومانونيس (ديسمبر سنة ١٩١٨) ؛ وعلى يد هذه الوزارة التحقت اسبانيا بعصبة الأمم التى كانت يومئذ معقد كثير من الآمال والامانى . ولكن الوزارات الحرة كانت تصطدم دائما بعثرات وصعاب جمة سواء من جانب العرش ، وقد كان يؤثر دائما جانب

فضيلة . . . !

للاستاذ اديب عباسي

والفضائل كالرجال : منها المانع المسترخي ، ومنها الشديد الصلب الذي لا يثنى ، ومنه المقروء مفرط القر ، ومنها المشوب مفرط الحر ، ومنها مرفف الحد نافذ الثفرة ، ومنها كثير القول قليل السطوة ، ومنها الذليل المستعبد ، ومنها الابي المستكبر ، ومنها الواضع البين ، ومنها الذي ليس له أول ولا آخر . وتستطيع أن تمضي في المقارنة الى آخر ما يحضرك من صور للرجال ونماذج . ولا بكرة بما يوحى اللفظ من معاني القداسة والاشتياق من الفضل . فانت تعرف جيدا أن الفضائل كالرجال أيضا تخضع للملابسات الحياة وتعملو للزمن ، وتال من درها تقديراً عادلاً حيناً ، وتقديراً جاراً أحياناً أخرى .

وفي عصور النضال العنيف والجهاد المخرج يقصر الناس على التفتن الى جميع مناحي الحياة دقيقة وجليلة ، ويحاولون على تناول موادها تناولاً سريعاً مرتجلاً لا اشفاق فيه - غالباً - على ماض تليد ولا مستقبل موموق بعيد . والذي يربح المعركة للقوم من هذه المواد هو الذي لاشك يربح البقاء والخلود .

ولعل الشرق في هذا الوقت الحافل بجميع ضروب النزاع الملى . باقرب الاحتمالات وابعدها ، هو احوج مايكون الى أن يكر راجعاً الى هذا الكتاب القديم الذي دونت فيه فضائلنا ، ويطمس بالقلم العريض هذه الاسطر المحرمة التي تسيء الى رجولة الشرق ، وتنقص من حيوته الفردية ثم حيوته الاجتماعية ، وعملية التنقيح في الاخلاق والفضائل هذه هي عملية قديمة خبرها اليونان والرومان والعرب وغيرهم ، وخبروا خيرها أصدق مختبر . ولعل أشد عصور هذه الأمم سواداً هي العصور التي كانت فيها عين الرقيب في غفوة عنها ، فثبتت بعض هذه الفضائل من وقتها ونسبت تنهش في الحياة وتوالى تمزيقها الى أن أحالتها في النهاية رسماً للجسم ، وبقية من جثة والحياة - كما تعلم - من أقدم ما خط في كتابنا الاخلاقي - الحياة لا بمعنى صرف النظر وتحويل الفكر عن الشهوات والملاذ الدنيئة - بل الحياة بمعنى اعطائك سيفك لحصنك ليقالك به ، أو

الطغيان والقمع ويعتمد على مؤازرة العناصر الرجعية والعسكرية والدينية ، أو من جانب العسكرية وقد كانت ترهق بضغظها كل حكومة لا تدعن لارادتها ووحيا . فسقطت وزارة رومانونيس ، وخلفتها وزارة محافظة برئاسة السيئور مورا ، ثم وزارة محافظة أخرى برئاسة السيئور تركا . وكانت هذه الوزارة الاخيرة وزارة قوية مستترة ، ولكنها اصطدمت بارادة العسكرية ولم تدعن لها ، فاستقالت مرعومة ، ولكن المحافظين استمروا في الحكم ايضا ، أولاً على يد السيئور سالازار ثم على يد زعيمهم السيئور دانو الذي ألف الوزارة الجديدة في مايو سنة ١٩٢٠ . وكانت اسبانيا ترزح يومئذ تحت خططين عظيمين : أولهما اضطراب الثورة في قطلونية ، وثانيهما اضطراب الحرب في مراكش ؛ وكانت حوادث قطلونية دائمة كابوس السياسة الداخلية ، كما كانت حوادث مراكش كابوس السياسة الخارجية ، لحاولت وزارة دانو أن تقمع الثورة في قطلونية وانساق كالعادة الى القسوة والتطرف متأثرة بارادة العسكرية والعرش ، ولكنها لم تقمع في اتحاد الهياج ، وانهى الامر بمقتل رئيسها (مارس سنة ١٩٢١) ؛ فعاد السيئور سالازار الى تأليف الوزارة الجديدة : وهنا تطورت حوادث مراكش تطوار خطيراً نرجي . شرحه الى الفصل القادم .

محمد عبد الله عنان
الحامي

عدد الرسالة الممتاز

- يصدر يوم الاثنين القادم في ضعف العدد المعتاد حافلاً بصحائف المجد العربي لاقطاب الادب والبيان في مصر وفي الاقطار العربية وسيداع بقرش صاغ واحد فاجتهد الا يفوتك